مهندسو الحرب على العراق : إسرائيل الكبرى تمر عبر بغداد

13-4-2003

هناك مجموعة طليقة من أصدقاء إسرائيل، التي تؤمن بالشراكة في المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتّحدة. ... ينظر هؤلاء المحلّلون للسياسة الخارجية من خلال منظار مهيمن : هل هي جيدة أو سيئة لإسرائيل؟. وهؤلاء يتمركزون في وزارة الدفاع الأمريكية، مثل بول ولفويتز وريتشارد وبيرل ودوغلاس فيث، ويرون أن ما جيد لإسرائيل جيد لأمريكا.

حزب الحرب – أو المحافظون الجدد- ربما يكسب المعركة مؤقتا. لكنّه سيجني حصتدا مرا لم يضعه في الحسبان أو ربما لم يأبه به. قوائم وارتباطات أعضائه كشفت دوافعه. في لحظة نادرة في الصحافة الأمريكية، طرح تيم روسيرت هذا السؤال مباشرة إلى ريتشارد بيرل: "هل تستطيع أن تطمئن المشاهدين الأمريكان. . . إنّنا في هذه الحالة ضدّ صدام حسين وإزالته رعاية للمصالح الأمنية الأمريكية؟ وما علاقة هذا بإسرائيل؟". ويعترف محرّر صحيفة الوول ستريت السابق Max Boot بأن الإرتباط العاطفي بإسرائيل يعتبر "عقيدة رئيسية للمحافظي م الجدد neoconservatism" .

هناك مجموعة طليقة من أصدقاء إسرائيل، التي تؤمن بالشراكة في المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتّحدة. ... ينظر هؤلاء المحلّلون للسياسة الخارجية من خلال منظار مهيمن : هل هي جيدة أو سيئة لإسرائيل؟. وهؤلاء يتمركزون في وزارة الدفاع الأمريكية، مثل بول ولفويتز وريتشارد وبيرل ودوغلاس فيث، ويرون أن ما جيد لإسرائيل جيد لأمريكا.
من هم المحافظون الجدد؟ الجيل الأول كانوا ليبراليين سابقين، إشتراكيين، وتروتسكيين. لا أحد تخرج تقريبا من عالم الأعمال أو الجيش، ويرون أن دعم إسرائيل خاصية حاسمة في جيلهم.

عندما انتهت الحرب الباردة، بدأ المحافظون الجدد بالتحضير لحملة صليبية جديدة لإعطاء معنى لحياتهم. في 11سبتمبر، جاء وقتهم. استفادوا من تلك الهجمات التي استهدفت "رمز العظمة" الأمريكية، لقيادة غضب أمريكا في الحرب الشاملة لتحطيم "أعدائها"، من "الدول المارقة" العربية والإسلامية التي قاومت الهيمنة الأمريكية وتحتقر إسرائيل!. خطّة حزب الحرب، على أية حال، تم التحضير لها 9/11 بفترة طويلة. وعندما أطاح الرّئيس بوش بنظام الطالبان، كان يبحث عن جبهة جديدة في الحرب على ما تسميه "الإرهاب"، واضعين وجبة طعامهم المطبوخة أمامهم، وقد تخندق بوش معهم. في 15 سبتمبر أي بعد ثلاثة أيام من الهجمات، وطبقا لكتاب بوش في حالة حرب لمؤلفه بوب وودوارد، جاء فيه : "أنتج بول ولفويتز حجج

عسكرية لتبرير هجوم أمريكي على العراق بدلا من أفغانستان". لماذا العراق؟ لأن، وولفويتز جادل في غرفة الحرب، بأنه بينما "الهجوم على أفغانستان سيكون مشكوكا فيه ... فإن العراق كان نظاما مستبدّا هشّا قد ينكسر بسهولة".
في 20 سبتمبر، أرسل أربعون من "المحافظين الجديد" رسالة مفتوحة إلى البيت الأبيض تنصح الرّئيس بوش كيف ينبغي أن تُقاد الحرب على "الإرهاب"، وُقّع من قبل بينيت، بودوريز، كيركباتريك، ريتشلرد بيرل، كريستول، ومعلق الواشنطن بوست الصحفي تشارلز كروتايممير، الرسالة كانت إنذارا نهائيا. وحذر الموقعون من أيّ فشل لمهاجمة العراق، "سيشكّل إستسلاما حاسما ومبكرا في الحرب على الإرهاب الدولي". وهذه كانت رسالة عصابة المثقّفين الذين يخبرون القائد العام - بعد تسعة أيام من الهجوم على أمريكا- بأنه إذا لم يتبع خطط حربهم، فإنه سيُتّهم بإستسلام الإرهاب.

الرّئيس بوش كان قد حذّر، من أنه قد يستغلّ هجوم 9/11 لإطلاق سلسلة الحروب على الأنظمة العربية. "بيبي" نتنياهو، رئيس الوزراء السابق لإسرائيل، كان موجودا في كلّ قنوات التلفاز الأمريكي، يدعو لمجابهة "إمبراطورية الإرهاب". بدا حزب الحرب مستميت للحصول على حرب في المنطقة قبل أن يطرأ على أمريكا أفكارا أخرى. توم دونيلي المشرف على مشروع القرن الأمريكي الجديد دعا إلى إحتلال فوري العراق.

ويبدو أن هؤلاء انساقوا وراء "مذهب ليدين" (نسبة إلى مايكل ليدين) المسؤول السابق في وزارة الدفاع الأمريكية القائل بأنه "في كلّ عشرة سنوات، تحتاج الولايات المتّحدة لإختطاف بعض البلاد وضربها على الحائط، فقط للتأكيد بأننا نتعامل مع الأمر بجديّة". في الحرب ضدّ "سادة الإرهاب"، يميّز "ليدين" الأنظمة التي يجب على أمريكا أن تُحطّم: "أولا وقبل كل شيء، علينا أن نسقط أنظمة الإرهاب، ونبدأ بالثلاثة الكبيرة: إيران، العراق وسوريا. وبعد يجب أن نعالج العربية السعودية. ... وعندما نطيح بالمستبدين في إيران، العراق، سوريا، والعربية السعودية، نحن سنحافظ على جاهزيتنا واستعدادنا. ... نحن يجب أن نضمن إنجاز الثورة الديمقراطية. ... نحن لا نريد إستقرار في إيران، العراق، سوريا، لبنان، وحتى العربية السعودية، نريد أن تتغيّر الأوضاع هناك. القضية الحقيقية ليست في هل، ولكن كيفية الزعزعة". و الحرب القادمة – حسب روبرت كاجان ووليام كريستول من أبرز المحافظين الجدد- "ستنتشر وتبتلع عددا من البلدان ... سيشبه صراع الحضارات.."، و كتب بودوريز "نحن قد نجد أنفسنا شئنا أم أبينا مجبرين ... على إسقاط خمسة أو ستّة أو سبعة ديكتاتوريات في العالم الإسلامي".

في الحقيقة، شارون كان في كل مكان صدى معاونيه في أمريكا. في فبراير من هذه السنة، أخبر شارون وفد أعضاء كونجرس بأنّه بعد الإطاحة بنظام صدام، فإنه من "الأهمية الحيوية" أن تنزع أمريكا سلاح إيران، سوريا، وليبيا. "عندنا اهتمام عظيم في تشكيل الشرق الأوسط، في ما بعد العراق" كما صرح بذلك وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز.

وترى زمرة الحرب أن إسرائيل تستطيع تشكيل بيئتها الإستراتيجية، بالتعاون مع تركيا والأردن، وبإضعاف، أو إحتواء سوريا. هذا الجهد يركز ابتداء على إزاحة صدام حسين من السلطة في العراق — هدف إستراتيجي إسرائيلي مهم، وتعتبره حقها الشخصي– كممر فعال لإحباط طموحات سوريا الإقليمية. وتحدّت الأردن طموحات سوريا الإقليمية مؤخرا باقتراح إعادة "الحكم الهاشمي" في العراق. وفي إستراتيجية "المحافظين الجدد"، يبقى عدو إسرائيل سوريا، لكن الطريق إلى دمشق يمرّ عبر بغداد. ونشر أحدهم (وورمسير) في يناير 2001م (أي قبل تسعة أشهر من أحدا 11/9) خطة أسماها "أزمات يمكن أن تكون فرصا"، ينظر فيها لحرب إسرائيلية أمريكية. و حول عصابة بيرل فيث وورمسير، المؤلف مايكل ليند يكتب: إنّ اليمين الصهيوني المتعصب قليل في العدد، لكنّه أصبح قوة هامّة في دوائر صنع السياسة الجمهورية للولايات المتحدة. هي ظاهرة حديثة، تعود إلى أواخر السبعينات والثمانينات، عندما انضم الكثيرمن المثقّفين اليهود من الحزب الديمقراطي سابقا إلى تحالف الرئيس الأسبق ريغان الواسع. بينما يتحدث العديد من عناصر الصقور علنا حول الحملات الصليبية العالمية لنشر الديمقراطية، القلق الرئيسي للكثير من هؤلاء "المحافظين الجدد"، هو القوّة وسمعة إسرائيل.
كان ريتشارد بيرل يرأس إلى وقت قريب لجنة السياسات الدفاعية، أما فيث فيشغل منصب وكيل وزارة الدفاع، ووورمسير مساعد خاصّ لوكيل وزير الخارجية للحدّ من الأسلحة، جون بولتون، الذي يردّد صدى خطّ بيرل-شارون بشكل طيع. وطبقا لهآرتز الصحيفة اليومية الإسرائيلية، في أواخر فبراير، ذكر وكيل وزير الخارجية الأمريكي جون بولتون في الإجتماعات مع المسؤولين الإسرائيليين ... بأنّه لا يشكّ في أن أمريكا ستهاجم العراق وبأنّها ستكون ضرورية للتعامل مع التهديدات الصادرة من سوريا وإيران وكوريا الشمالية بعد ذلك.

في 26 يناير 1998، إستلم الرّئيس كلينتون رسالة التي تناشده لإستعمال خطاب حالة الإتحاد لجعل إزالة نظام صدام حسين "هدف السياسة الخارجية الأمريكية" ولإستعمال العمل العسكري لأن " الدبلوماسية فشلت". وقد تعهد الموقعون أنه (أي كلنتون) إذا عمل ذلك، فإننا "سنعرض دعمنا الكامل في هذا المسعى الصعب لكن الضروري". ووقع على هذا التعهد كل من إليوت أبرامز، بيل بينيت، جون بولتون، روبرت كاجان، وليام كريستول، ريتشارد بيرل، وبول ولفويتز. قبل أربعة سنوات من أحداث 9/11، فبغداد كانت حاضرة في عقول " المحافظين الجدد" قبل أربع سنوات من الهجمات على أمريكا. في سنة 1992، سُربت وثيقة مذهلة من مكتب بول ولفويتز (أحد صقور المحافظين الجدد) في وزارة الدفاع الأمريكية، يحدد فيها وضع اتجاه الأمّة الأمريكية في اللقرن القادم، ودعت مذكرة "ولفويتز" إلى فرض الوجود العسكري الأمريكي الدائم في ستّ قارات لردع كلّ "المنافسين المحتملين المتطلعين إلى دور عالمي أو حتى دور إقليمي أكبر".

وإذا كانت مذكرة ولفويتز (وعدد صفحاتها 33 صفحة) شجبت وأُبعدت في 1992، إلا أنها أصبحت مرجع للسياسة الأمريكية في إستراتيجية الأمن

القومي التي أصدر مكتب الرئيس بوش في 21 سبتمبر 2002، والمذكرة تعكس حدّا فاصلا في السياسة الخارجية الأمريكية، إذ أنها قلبت المبادئ الأساسية التي وجّهت الرؤساء المتعاقبين لأكثر من 50 سنة: الإحتواء والردع. وفي مواجهة خصوم أمريكا، تعلن المذكرة :" سوف لن نتردّد في التصرّف بشكل منفرد، إذا دعت الضرورة، لممارسة حقّنا في الدفاع عن النّفس بشكل إستباقي".